تَـخَـالَـفَ الـنَّـاسُ حَـتَّـى لَا ٱتِّـفَـاقَ لَـهُـمْ
إِلَّا عَـلَـى شَـجَـبٍ وَٱلْـخُـلْـفُ فِي الـشَّـجَـبِ(١)
فَـقِـيـلَ تَـخْـلُـصُ نَـفْـسُ الـمَـرْءِ سَـالِـمَـةً
وَقِـيـلَ تَـشْـرَكُ جِـسْـمَ الـمَـرْءِ فِي الْـعَـطَـبِ(٢)
وَمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فِـي الـدُّنْـيَـا وَمُـهْـجَـتِـهِ
أَقَـامَـهُ الْـفِـكْـرُ بَـيْـنَ الْـعَـجْـزِ وَالـتَّـعَـبِ(٣)

سمعاً لأمر أمير العرب

أنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه فأجابه بهذه القصيدة وأنفذها إليه في ميّافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة (٩٦٤ م):

[المتقارب]

فَـهِـمْـتُ الْـكِـتَـابَ أَبَـرَّ الْـكُـتُـبْ
فَـسَـمْـعـاً لِأَمْـرِ أَمِـيـرِ الْـعَـرَبْ(٤)
وَطَـوْعـاً لَـهُ وَٱبْـتِـهَـاجـاً بِـهِ
وَإِنْ قَـصَّـرَ الْـفِـعْـلُ عَـمَّـا وَجَـبْ(٥)

= فإن حقّق أحد نجاحاً عمل على تحقيق نجاح آخر وهكذا دواليك، فتنتهي الحياة ولا تنتهي حاجات بني البشر، وهذا هو سرّ بقاء الحياة وحيويتها.

(١) و (٢) الشجب: الهلاك. الخلف: الاختلاف. آمن الناس بأن الموت حقّ محتّم على كلّ مخلوق، واختلفوا بكيفيّته وطرقه وأوقاته في ما بينهم على رأيين، فالمؤمنون بالبعث يؤمنون بخلود الروح في عالم البرزخ حتى قيام الساعة يوم الحشر؛ فيكون الجزاء، والرأي الآخر يؤمن به الملاحدة والدهريّون الذين يؤمنون بفناء الروح النفس بفناء الجسد.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. المهجة: الروح. يرى الشاعر أن التفكير في حال الدنيا متعب، حيث لا خلود، ولا دوام على حال، وما يريح المرء الاستسلام لمصيره وعدم التفكير في الأمر.

(٤) و (٥) الابتهاج: الفرح. يبدي الشاعر استعداده لموافاة سيف الدولة الذي طلب منه الإسراع بالمجيء إليه؛ ولقد فهم المقصود من رسالة فتحت في نفسه أملاً جديداً وفرحة لا تُساويها فرحة، ومع ذلك فالشاعر يقدّم اعتذاره عن تخلّفه والمسارعة =

وَمَـا عَـاقَـنِـي غَـيْـرُ خَـوْفِ الْـوُشَـاة
وَإِنَّ الْـوِشَـايَـاتِ طُـرْقُ الْـكَـذِبْ(١)
وَتَـكْـثِـيـرِ قَـوْمٍ وَتَـقْـلِـيـلِـهِـمْ
وَتَـقْـرِيـبِـهِـمْ بَـيْـنَـنَـا وَالْـخَـبَـبْ(٢)
وَقَـدْ كَـانَ يَـنْـصُـرُهُـمْ سَـمْـعُـهُ
وَيَـنْـصُـرُنِـي قَـلْـبُـهُ وَالْـحَـسَـبْ(٣)
وَمَـا قُـلْـتُ لِـلْـبَـدْرِ أَنْـتَ الـلُّـجَـيْـ
ـنُ وَمَـا قُـلْـتُ لـلـشَّـمْـسِ أَنـتِ الـذَّهَـبْ(٤)
فَـيَـقْـلَـقَ مِـنْـهُ الْـبَـعِـيـدُ الأَنَـاةِ
وَيَـغْـضَـبَ مِـنْـهُ الْـبَـطِـيءُ الـغَـضَـبْ(٥)
وَمَـا لَاقَـنِـي بَـلَـدٌ بَـعْـدَكُـمْ
وَلَا ٱعْـتَـضْـتُ مِـنْ رَبِّ نُـعْـمَـايَ رَبْ(٦)

= للمثول بين يدي سيف الدولة، والحقّ أن خوف الشاعر من شماتة حسّاده وأعدائه به.

(١) و (٢) الوشاة، الواحد واشٍ: النمامون الذين يتناقلون زور الحديث. يلتمس الشاعر لنفسه العذر بأن ثمَّة وُشاة يتآمرون عليه، عمادهم في ذلك الكذب مغلّفاً بزخرف القول يصوغونه بمكر وخديعة. إنهم يُمعنون بتمزيق سجل فضائله ويسردون معايب يُلصقونها به بسرعة رهيبة؛ وهذا ما جعله يتردّد في العودة إلى كنف أميره. والتقريب والخبب ضرب من عدو الفرس.

(٣) لقد كان سيف الدولة يستمع إلى أقوال الوشاة، وتبدو عليه علائم قبول ما يتفوّهون به، ولكن الواقع خلاف ما كان يظهره، فقد كان ينصر الشاعر عملياً يعضده اثنان قلبه الكبير الذي لا يقبل الظلم لأحد وحسبه الرفيع السامي.

(٤) و (٥) اللجين: الفضة. الأناة: عدم التسرّع في الأحكام، الحلم. يعرض الشاعر مشكلته مع سيف الدولة؛ لقد كان خالص الودّ، صادق اللهجة، ومدحه ينمّ عن حبّ وإعجاب لشخص ممدوحه، وإسباغ النعوت على البدر أنه فضّة السماء وعلى الشمس أنها الذهب لا ينقص من قيمتهما الحقيقية بالنسبة للبشر وللوجود. وعلى ذلك فلا مدعاة للنفور من شخص الشاعر والغضب ممَّا يفعل.

(٦) لاقني: أمسك بي، واحتبسني، يذكر الشاعر أن يعوّل على الإقامة في حمى سيف =

وَمَـــنْ رَكِـــبَ الـــثَّـــوْرَ بَـــعْـــدَ الْـــجَـــوا
دِ أَنْـــكَـــرَ أَظْـــلَافَـــهُ وَالْـــغَـــبَـــبْ (١)
وَمَـــا قِـــسْـــتُ كُـــلَّ مُـــلُـــوكِ الْـــبِـــلَادِ
فَـــدَعْ ذِكْـــرَ بَـــعْـــضٍ بِـــمَـــنْ فِـــي حَـــلَـــبْ (٢)
وَلَـــوْ كُـــنْـــتُ سَـــمَّـــيْـــتُـــهُـــمْ بِـــاسْـــمِـــهِ
لَـــكَـــانَ ٱلْـــحَـــدِيـــدَ وَكَـــانُـــوا ٱلْـــخَـــشَـــبْ (٣)
أَفـــي الـــرَّأْيِ يُـــشْـــبَـــهُ أَمْ فِـــي الـــسَّـــخَـــا
ءِأَمْ فِـــي الـــشَّـــجَـــاعَـــةِ أَمْ فِـــي الْأَدَبْ (٤)
مُـــبَـــارَكُ ٱلاسْـــمِ أَغَـــرُّ ٱلـــلَّـــقَـــبْ
كَـــرِيـــمُ الْـــجِـــرِشّـــى شَـــرِيـــفُ الـــنَّـــسَـــبْ (٥)
أخـــو الْـــحَـــرْبِ يُـــخْـــدِمُ مِـــمَّـــا سَـــبَـــى
قَـــنَـــاهُ وَيَـــخْـــلَـــعُ مِـــمَّـــا سَـــلَـــبْ (٦)

= الدولة؛ فهو لم تطب له سُكنى بلد والاستقرار في ربوع سوى كنف الممدوح، كما أنه قد اتَّخذ صاحب نعمته سيداً له لا يريم عن بلاطه.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. الأظلاف، الواحد ظلف: ظفر كلّ ما اجترّ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي. الغبب: ما تدلى من لحم تحت حنك الثور. ومن سوء تعبير الشاعر أن جعل سيف الدولة جواداً ركب متنه، فهو لن يتخلَّى عن ذلك ليركب متن كل ثور، ويقصد بذلك سائر الملوك دونه.

(٢) و (٣) يفضل الشاعر سيف الدولة عن سائر الملوك والأمراء الذين مدحهم، إنه سيف حديدي، لا يقف مقابله أحد منهم؛ فهم سيوف خشبية محنطة، سرعان ما يتكسرون إذا التقوا بالسيف الحديدي، ومن هنا فمدح الشاعر لأميره يمتاز بصدق المشاعر وجِدّة الإعجاب.

(٤) يُنكر الشاعر على سائر الملوك والأمراء أن يتشبّهوا بسيف الدولة؛ فهو يفوقهم رأياً وكرماً وشجاعة وأدباً.

(٥) ورد البيت في معاهد التنصيص، للعباسي ١: ١٠. الجرشى: النفس. يمدح الشاعر سيف الدولة؛ إنه مبارك الاسم، عليّ من العلوّ والرفعة، وأغرّ اللقب، مشهور بلقبه الذي اشتهر به وخلّده، عزيز النفس، وينتمي إلى أصل شريف نبيل.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. ومن صفات الممدوح أنه أخو =

إِذَا حَـــازَ مَـــالاً فَـــقَـــد حَـــازَهُ
فَـتًـى لَا يُـسَـرُّ بِـمَـا لا يَـهَـبْ[١]
وَإِنِّـــي لَأُثْـــبِـــعُ تَـــذْكَـــارَهُ
صَـلَاةَ ٱلْإِلٰـهِ وَسَـقْـيَ الـسُّـحُـبْ[٢]
وَأُثْـــنِـــي عَـــلَـــيْـــهِ بِـــآلَائِـــهِ
وَأَقْـــرُبُ مِـــنْـــهُ نَـــأَى أَوْ قَـــرُبْ[٣]
وَإِنْ فَـــارَقَـــتْـــنِـــي أَمْـــطَـــارُهُ
فَـأَكْـثَـرُ غُـدْرَانِـهَـا مَـا نَـضَـبْ[٤]
أَيَـــا سَـــيْـــفَ رَبِّـــكَ لَا خَـــلْـــقِـــهِ
وَيَـا ذَا الـمَـكَـارِمِ لَا ذَا الـشُّـطَـبْ[٥]
وَأَبْـــعَـــدَ ذِي هِـــمَّـــةٍ هِـــمَّـــةً
وَأَعْـــرَفَ ذِي رُتْـــبَـــةٍ بِـــالـــرُّتَـــبْ[٦]

= الحرب، تقتضي المؤاخاة التلازم والمصاحبة الدائمة، وعليه يكون لا يستكين إلى الدّعة بل إنه لا يتوقّف عن الإيقاع بأعدائه، فيسبي من سراريهم نساءً وأولاداً ورجالاً فيهب من يشاء من سباياه، لذا فهو لا يشتري عبيداً، كما أنه يهب الأردية التي يربحها في حروبه لمن يريد.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. ومن طبع سيف الدولة أن الكرم متأصل في نفسه، فهو لا يبخل بما لديه، بل إنه يفرح إذا نثر المال في الناس.

(٢) ومن مبالغات الشاعر أنه إذا ذكر سيف الدولة صلّى عليه لكي يباركه اللّه تعالى ويرزقه من عميم عطائه ونعمائه.

(٣) الآلاء: النعم. نأى: بعُد. يذكر الشاعر فضائل ممدوحه العديدة في الكرم، ويمدحه بهذه الصفة التي عمّت بفيضها القريب والبعيد ممّن يعرف ومن لا يعرف.

(٤) الغدران، الواحد غدير: ما اجتمع من السيول في مكان ما. وقد يتوقّف عطاء سيف الدولة عن الشاعر، ولكثرة ما حصل عليه من عطايا أمره، فأكثر ما لديه فإن الشاعر لا يزال يحتفظ به؛ فغدرانه لم تنضب بعد.

(٥) الشُّطُب: الواحدة شطبة: الطرائق في متن السيف. خاطب الشاعر ممدوحه، إنه سيف اللّه تعالى، وليس بسيف البشر، ويردف مخاطباً فيصفه بصاحب المكارم والأخلاق الرفيعة، وليس بسيف مزيّن بطرائقه كسائر السيوف الحديدية.

(٦) إنه بعيد الهمة، فطموحه دائماً إلى كريم المعالي، وهو من يميّز صحبه فيرفع رتبهم ويسمو بهم.

وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِّيَّةً
وَأَضْرَبَ مَنْ بِحُسَامٍ ضَرَبْ[١]
بِذَا ٱللَّفْظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ
فَلَبَّيْتَ وَٱلْهَامُ تَحْتَ ٱلْقُضُبْ[٢]
وَقَدْ يَئِسُوا مِنْ لَذِيذِ الْحَيَاةِ
فَعَيْنٌ تَعُورُ وَقَلْبٌ يَجِبْ[٣]
وَغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الْعُدَا
ةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصِبْ[٤]
وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ
إِذَا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ[٥]
أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ
طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ[٦]

(١) الخطية: الرمح. إنه يجيد الطعن برمحه فيتغلّب على سائر من يستعمل الرماح في القتال، وهو أفتك من يستعمل سيفاً.

(٢) و (٣) الثغور، الواحد ثغر: البلدان المتاخمة لبلاد الأعداء من بلاد المسلمين. إنه نداء أهل الثغور من المسلمين الذين يتقوّون ببطل همام يستنجدون به في ساحات القتال يوم تقطع السيوف الرقاب وقد اشتدّت عليهم المحن، وفرَّت من عيونهم نعمة الأمن والطمأنينة ويئسوا من الحياة، فافتقدوا طعم النوم اللذيذ، وقد استولى على قلوبهم الرعب وضاقت الدنيا عليهم بما رحُبت وخفقت قلوبهم خفقان اليأس.

(٤) الدمستق: قائد الروم، العداة: الأعداء. ثقيل: مريض يلازم الفراش. وصب: مريض. لقد تنامى إلى مسامع الدمستق أن سيف الدولة مريض يلازم الفراش وقد اشتدّ عليه المرض فلا يستطيع حِراكاً.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. ومن عادة خيل سيف الدولة وجيشه أنه لا يتوانى عن نجدة بني قومه مع كونه مريضاً فإذا بها تستجيب لإرادته.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. لقد استعدّ الدمستق فجهز جيشاً جرّاراً تعجز أرضهم عن استيعابه، وقوامه الجياد من الخيل المطهّمة.

تَـغِـيـبُ الـشَّـوَاهِـقُ فِـي جَـيْـشِـهِ
وَتَـبْـدُو صِـغَـاراً إذا لَـمْ تَـغِـبْ[١]
وَلَا تَـعْـبُـرُ الـرِّيـحُ فِـي جَـوِّهِ
إِذَا لَـمْ تَـخَـطَّ الْـقَـنَـا أوْ تَـثِـبْ[٢]
فَـغَـرَّقَ مُـدْنَـهُـمُ بِـالْـجُـيُـوشِ
وَأخْـفَـتَ أصْـوَاتَـهُـمْ بِـالـلَّـجَـبْ[٣]
فَـأَخْـبِـثْ بِـهِ طَـالِـبـاً قَـهْـرَهُـمْ
وَأخْـبِـثْ بِـهِ تَـارِكـاً مَـا طَـلَـبْ[٤]
نَـأَيْـتَ فَـقَـاتَـلَـهُـمْ بِـالـلِّـقَـاءِ
وجِـئْـتَ فَـقَـاتَـلَـهُـمْ بِـالـهَـرَبْ[٥]
وَكَـانُـوا لَـهُ الْـفَـخْـرَ لَـمَّـا أَتَـىٰ
وَكُـنْـتَ لَـهُ الْـعُـذْرَ لَـمَّـا ذَهَـبْ[٦]

---

(١) ولعظم هذا الجيش وكثرة الجند، فقد اختفت الجبال الشاهقة فبدت صغيرة من جوانبها، وقد غطّاها.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٢٤. ولضيق المسافة بين جند الأعداء يصعب على الرياح المرور، فإذا بها تخترق الرماح، وقد تعبر الرياح في تموّج تضاريس تلك الجبال بين علوّ وانخفاض.

(٣) اللجب: الصخب، الضجيج، لقد نزل قائد الروم بجيش عظيم بلاد ثغور المسلمين، فإذا بها تغرق بطوفان اكتسح أصوات استغاثة أبناء تلك الثغور لشدّة الجلبة وعلوّ الصخب.

(٤) أخبث من صيغ التعجب. قائد الروم شديد الخبث، فقد رمى جنده لقمة سائغة في أنياب جيش سيف الدولة، ومن خبثه أنه سرعان ما فرّ من ساحة المعركة لجبنه مخلّفاً وراءه جيشاً تتآكله الهزيمة.

(٥) نأيت: بعدت. يخاطب الشاعر سيف الدولة، لقد انتهز قائد الروم بعدك عن سكان الثغور، فلقيهم محارباً، وسرعان ما فاجأته حتى فرّ مؤثراً السلامة، فجعل جنده طعماً للهزيمة النكراء.

(٦) وفي الحقّ أنه آلم سكان الثغور بقتالهم، فافتخر عليهم وعلا كعبه، ولكن ذلك لم يدم طويلاً حتى كانت المفاجأة التي لم يتوقّع حصولها، فإذا بسيف الدولة يصول =

سَبَقْتَ إِلَيْهِمْ مَنَايَاهُمُ
وَمَنْفَعَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبْ (١)
فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّداً
وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلُبْ (٢)
وَكَمْ ذُدْتَ عَنْهُمْ رَدًى بِٱلرَّدَى
وَكَشَّفْتَ مِنْ كُرَبٍ بِٱلْكُرَبْ (٣)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدْ
يَعُدْ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُعْتَصِبْ (٤)
وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ
وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبْ (٥)
لِيَدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا
فَيَا لِلرِّجَالِ لِهَذَا الْعَجَبْ (٦)

= ويجول، وإذا بقائد الروم يفرّ من ساحة المعركة، وله في ذلك عذر وجيه، فمثل سيف الدولة لا يصمد أمامه أحد.

(١) و (٢) الغوث: النجدة. لقد أدرك سيف الدولة سكان الثغور وهم يدفعون عن أنفسهم مرّ الهزيمة، فإذا بهم يستروحون معنى النصر في أحرج الأوقات وأعسر الظروف، وقبل أن يحلّ بهم موت محقّق، فإذا بهم يسجدون شكراً للّه تعالى على خلاصهم، وإن لم يحصل ذلك لكانوا أذلّ يسجدون للصليب.

(٣) زاد: حمى، دافع. الردى: الموت. الكرب: الحزن الشديد. يخاطب الشاعر سيف الدولة لقد حُلْت دون هلاك سكان الثغور فأهلكت أعداءهم، وكشفت عنهم الغُمّة فأنزلت بجيش العدو الهزيمة والعار.

(٤) و (٥) المعتصب: المتوج. ومن مقولات الروم أن الدمستق قد يرجع بجيش عظيم، وفي هذه المرة قد يقود الجيش ملك الروم المتوّج وإلى جانبه قائده، وهما يبغيان النصر ممن يعبدان، وهما يؤمنان بأنه صُلب، وهل يمكن من صلب أن ينصرهما؟

(٦) وما يثير الدهشة أنهما يعتقدان بأن المسيح عليه السلام قادر على نصرهما مع اعتقادهما بصلبه فلم يمنع أعداءه من الكيد له وقتله؛ وهذا غريب من عقولهم القاصرة.

أَرَى الـمُسْلِمِينَ مَعَ الـمُشْرِكِيـ
ـنَ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبْ[١]
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ
قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبْ[٢]
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحَّدْتَهُ
وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِالْبَنِ وَأَبْ[٣]
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ
إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَئِبْ[٤]
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جِسْمِهِ
وَلَيْتَكَ تَجْرِي بِبُغْضٍ وَحُبْ[٥]
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ
أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ[٦]

الملك الأستاذ

يمدحه وأنشده إياها في سلخ شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلاث مئة (٩٥٧ م):
[البسيط]

مَنِ الْجَآذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِيبِ
حُمْرَ الْحِلَى وَالمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ[٧]

---

(١) ينتقد الشاعر تخاذل المسلمين الذين وادعوا المشركين مؤثرين سلامة أنفسهم، ومن أسباب ذلك أن الخوف استولى على قلوبهم وعقولهم وأن العجز قد شلّ إراداتهم.

(٢) و (٣) يخاطب الشاعر سيف الدولة؛ إنه وحيد ينصر دين اللّه تعالى فلا يعرف للنوم طعماً لذيذاً، بل إنه يرهق نفسه، وهذا يعني أن سيف الدولة قد أخلص للّه تعالى وعبده من دون الناس الذين يؤمنون بالمسيح، أي بالابن والأب.

(٤) ظهرت: تغلبت. الكئب: الحزن. يتمنى الشاعر أن يعمل سيف الدولة سيوفه في الحسّاد، فتكون له الغلبة والكيد لهم؛ وهذا ما يُثلج قلب الشاعر.

(٥) و (٦) الشكاة: المرض. يتمنّى الشاعر أن يحلّ المرض الذي يُعاني منه سيف الدولة أن ينزل في أجسام الحاسدين، ويتمنّى عليه أن يُبادله حبًّا بحبّ، فهو من تمكن في قلبه حبّ سيف الدولة ولكنَّه قليل الحظّ منه.

(٧) الجآذر، الواحد جؤذر: ولد البقرة الوحشية، تشبه النسوة بها لجمال عيونهن. =